

في نور محمد فاطمة الزهراء

لكن الوعد والسفه والوعيد لم تقلقل للوعد عزيمة، ولم تسلب أحداً فيهم مثقال حبة من خردل ممّا دخله من إيمان. وصبر النجرانيّون هؤلاء على سَفال الطغام الأرزال، ولم يزد جوابهم على كلمة طيبة، تلفّظوا بها وحسبهم [١]، قالوا: سلام عليكم ... لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه [675]. وآبت إلى الجهالة الشذمة الضالّة. ومضى خلفاء حواري ابن مريم أولاء، على دريهم إلى نجران، وأعينهم تفيض من الدمع ممّا عرفوا من الحقّ، وأصابوا من الهداية، فكان مثلهم ومثلهم كمن قال فيهم القرآن: (وَمَنْ يَهْدِ الْإِلهُ فَمَا لَهُ دَلِيلٌ وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تُجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ. وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِلَاقًا وَجُوهَهُمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّ صَمٍّ خَبِثَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا) [676]. * * * مشاهد وصور أعداد، كهذا المشهد وذاك، وهذه الصورة وتلك، كانت تتبدى بين اليوم والآخر، للزهراء، وهي أغلب الأحياء في حجرتها الصغيرة، ووراء الجدران. فأذنها تلتقط الأحاديث، وبصرها يجسدها في أحداث. فالأخبار لا تني [677] تطرق عليها الباب، فتدخل بإذن أو بغير استئذان، والوقائع أثير ينفذ من المادة الصمّاء. ما من أمر كان يدور بالبلدة الحرام غاب عنها سرّه، وهي التي كانت تعيش الكفاح النبوي بكلّ ما لامرئ سويّ الخلقة من حواسّ.